(١)

مفهومُ الشهادةِ بينَ الحقيقةِ والادعاءِ

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم :{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَات بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللهم صَلَّ عليه وَعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَن تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعـــد :

فقد اقتضت سنة الله (عز وجل) أن يصطفي من عباده من يشاء فيرفع درجاتهم ، ويعلي من شأنهم ، ويفيض عليهم من كراماته ونفحاته ، ويمدهم بعطاياه ورحماته ، ولا شك أن مقام الشهادة من أعلى مقامات الاصطفاء والاجتباء التي يمتن الله (عز وجل) بها على من يشاء من خلقه ، حيث يقول سبحانه : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، ويقول سبحانه: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}.

ولقد خص الله (عز وجل) الشهداء بمناقب عديدة منها :

شرف مكانهم وجوارهم ، **وعظيم أجرهم ونعيمهم** ، قال تعالى: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}فأكرم به من شرف وجوار مع عظم أجر ونور تام يسعى بين أيديهم ، قال مسروق (رحمه الله) : وهذه المكانة للشهداء خاصة ؛ ولا أدل على عظم هذا الشرف والمكانة من حرص النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على الشهادة في سبيل الله (عز وجل) ليكتب له أجر هذه الدرجة العالية ، فقد قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ)؛ لعظيم ما أعدَّه الله (عز وجل) للشهداء.

ومنها: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، حياةً ليست كحياتنا ، حياةٌ تفوق إدراك البشر ، وهم أيضًا في ذاكرة الأمة أحياء لا تُنسى ذكراهم بمرور الأزمنة والدهور ، قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَات بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} ، وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا)؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا) – أي : مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول– فَقَالَ: (يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ) ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً ، قَالَ الرَّبُّ (عَزَّ وَجَلَّ) : (إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ) قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

ومنها ـ أيضا ـ ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) من إكرام الله (عز وجل) للشهداء بمنح عظيمة ، وعطايا جليلة في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ) ، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ).

على أننا نؤكد أن هذه المكانة السامية ، والدرجة العالية التي أعدَّها الله (عز وجل) للشهداء لا ينالها إلا شهيد الحق ، فهناك شهيد الحق ، وقتيل الباطل ، فالشهيد

الحق هو من دافع عن وطنه ضد كل مُعتَدٍ ، وبذل روحه فداءً له ، وحمايةً لترابه ، وحفاظًا على أهله وكل من يحيا على أرضه ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، فليس الوطن والعرض أقل خطرًا ومكانة من النفس والدين والمال ، فهو من المقاصد العامة التي أكد الشرع الحنيف على ضرورة الحفاظ عليها ، فقد قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) ، وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: (قَاتِلْهُ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ : (هُوَ فِي النَّارِ).

أما قتيل الباطل الذي يسفك دماء الأبرياء بغير حق ، ويروع أبناء الوطن ، ويُهدد أمنهم وأمانهم ، ويسعى إلى نشر الفساد والفوضى في الأرض ، ويروع الآمنين بعمليات انتحارية ، وتفجيرات إرهابية لا يقرها دين ، ولا يقبلها عقل ، لا يُعدُّ شهيدًا ، ووصفه بالشهيد ادعاء كاذب لا صحة له ، وتحريف للكَلِم عن مواضعه .

وقد أكد بيان الأزهر الشريف الذي أصدره بتاريخ ٢٣ /٢٠١٩/٢م ، لتفنيد بعض مزاعم الجماعة الإرهابية أن الشهداء الحقيقيين هم مَن يُدافِعون عن أوطانهم ضد كل مُعتَدٍ ويَدفعون أرواحهم فداءً لحماية ترابها وسمائها وأهلها وكلّ مَن يعيشون على أرضها ، وليس هؤلاء الذين يُرَوِّعون أهلَ وطنهم ويُهَدّدون أمنهم وأمانهم ويَسعَونَ إلى نشر الفساد والفوضى في ربوعه.

وغير خافٍ أنّ من واجبات المسلم أن يكون وفيًّا ومُحبًّا لوطنه ، وحاميًا ومدافعًا عنه بكل ما يملك من قولٍ أو فعلٍ، وأن حُبّ الأوطان من الإيمان ، وأنّ ذلك مما

تؤيّده العقيدة الإسلاميّة والسنة النبوية ، بل ويتفقّ عليه أصحاب الفِطَر السليمة ، والعقول المستقيمة.

وقد أصدرت دار الإفتاء المصرية العديد من الفتاوى التي تصف مثل هذه الأعمال بالإرهابية ، وأن القيام بها صورة من صور الانتحار الذي يعد من أكبر وأعظم الآثام والذنوب عند الله (عز وجل)؛ لأن من يفعل ذلك جاهل أقحم نفسه في الموت إقحامًا ، والحق سبحانه يقول : {وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (من قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) ، وقد بوب الإمام النووي على هذا الحديث بابًا في شرحه لصحيح مسلم فقال : "باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار" ، وهذا وأمثاله يصدق فيهم قول الله تعالى : {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}.

على أننا نوضح أن من يقوم بمثل هذه العمليات الانتحارية هم من يتبعون أفكار مذاهب الغلاة من الخوارج ومن جاء بعدهم من الجماعات الضالة المضلة الذين يقولون بتكفير المجتمع ، ويستبيحون دماء أبنائه جميعًا .

إنَّ اتّخاذَ وسيلةِ التّفجيرِ والتّدميرِ والتّخريبِ والاغتيالِ والانتحارِ من الأمور المحرمة شرعًا ولا خلاف في ذلك ، حيث إن ذلك كله يخالفُ نصوصَ الشّرعِ الحنيف الآمرةَ بوجوبِ المحافظةِ على النفس والوطن والمال ، فإقدام الإنسان على إهلاك نفسه ، وإزهاق روحه ، أو الاعتداء على أرواح الآخرين ، والإفساد في الأرض كل ذلك مما حرمه الشرع الحنيف .

لقد أكد الإسلام تأكيدًا شديدًا على حرمة الدماء وضرورة عصمتها ، فقد استهل

نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطبته الجامعة في حجة الوداع بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا – أَوْ ضُلَّالًا – يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَزَالُ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) ، وعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، وَيَقُولُ : (مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ ، مَالِهِ وَدَمِهِ ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا).

وقد نهى الإسلام عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ورتب على ذلك وعيدًا شديدًا ، فقال سبحانه : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمينَ ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين .

إخوةَ الإسلام :

إن بلوغَ الأهداف الكبرى ونيلَ الغايات العظمى في هذه الحياة يستلزم من التضحيات ما يتناسب مع سمو الأهداف وشرف المقاصد ونبل الغايات ، ويأتي في ذروة التضحيات التضحية بالنفس ، وبذل الروح في سبيل الله دفاعا عن الوطن وعزته وكرامته.

ونحن إذ نجدد الاحتفاء بيوم الشهيد ، فإننا نذكر أنفسنا بهؤلاء الذين ارتقت أرواحهم إلى الله (عز وجل) وفازوا برضوانه من رجال قواتنا المسلحة الباسلة ، ورجال الشرطة البواسل ، وسائر الوطنيين الشرفاء على خط مواجهة قوى الإرهاب والشر والظلام .

هؤلاء الشهداء الأبطال هم الشهداء حقًّا ، وثمة فارق كبير بين الحقيقة والادعاء ، فهؤلاء الأبطال هم من أحيوا فينا روح الكرامة والمروءة والعزة والشهامة، واستطاعوا أن يحفظوا لمصر مكانتها وهيبتها ، وما زال حماة الوطن يبذلون أنفسهم في سبيله لمواجهة الإرهاب الأسود الغاشم ، والجماعات التكفيرية الضالة المضلة ، ونحن على يقين وثقة في نصر الله سبحانه وتعالى لهم .

وإننا لنُرَجِّي لأنفسنا شهادة في سبيل الله والوطن ، ولم لا ؟ وقد قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).

وإن واجبنا في هذه المرحلة التي يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جميعًا لحمايته والدفاع عنه من أي عدو أو خطر يهدد أمنه واستقراره ، والعمل بكل ما أوتينا من قوة في مواصلة مسيرة البناء والتعمير ، فديننا فن صناعة الحياة لا صناعة الموت ، ودين البناء والتعمير لا الإفساد ولا التخريب ، فعلينا أن نتكاتف جميعًا لردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على وطننا الذي تحيط به مخططات متنوعة ، هدفها النيل من مصر وأرضها وشعبها ، يقف أمامها المخلصون من أبناء مصر فيقدمون أرواحهم ودماءهم وأموالهم دفاعًا عنها وحماية لأرضها ، فمصر هي درع العروبة والقلب النابض للإسلام ، والدفاع عنها واجب شرعي ، وحق ديني ، والنيل من مصر هو نيل

من الإسلام، وإضعاف للمسلمين في سائر البلاد ، فلنقف جميعًا صفًّا واحدًا في سبيل الدفاع عنها من فساد المفسدين ومكر الماكرين وحقد الحاقدين.

اللهُمّ ارزقنا الشهادةَ فِي سبيلك،

واجعلنا من عبادك المخلصين، واحفظ بلادنا من كل مكروه وسوء .